دار قصص وحكايات للنشـــر الإلكتروني
2020

نص مسرحي

٢٥ ١١

سحر النصراوي

١١ ٢٥

نص مسرحي

سحر إبراهيم النصراوي

العنوان: القضيّة (٢٥ ١١)

النوع الأدبي: نص مسرحي

المؤلف: سحر إبراهيم النصراوي (نبذة)

قوة السرد: كتابات إبداعيّة

المُدقق اللُغوي: الكاتب بنفسه

اللغة: فصحى

التنسيق الداخلي والإخراج الفني: رمضان سلمي برقي

تصميم الغُلاف: رمضان سلمي برقي

لوحة الغلاف للرّسّامة التّونسيّة : رحاب بولعراس

سنة النشر: 2020

الحالة: حصريًا

رقم الطبعة: 1

رقم الكتاب بالدار: 94

تم النشر بواسطة دار قصص وحكايات للنشر الإلكتروني2020

الدار غير مسؤولة عن أفكار الكُتّاب الواردة بإبداعاتهم؛ الكُتّاب وحدهم المسؤولون عنها.

الموقع الصفحة الجروب

لأن الإنسانية دَيْن...

الزمان

القرن الواحد و العشرون

المكان

مركز توقيف بإحدى ضواحي العاصمة بإحدى البلدان العربيّة.

غرفة توقيف ، مكتب الحراس .

قاعة المحكمة .

الشخصيات

- *منى* : شابة في منتصف العشرينات لاجئة سورية.

- *ماجدة* : سيدة تونسية في الأربعينات من عمرها ،- مناضلة رأي عام و صحافية جريئة و سليطة القلم.

- *نوسة* : فتاة ليل في العشرين من عمرها من بيئة فقيرة و مهمشة.

- *الحارس الشاب* : شاب في منتصف الثلاثين يعمل حارسا ليليا بتوقيف.

- *الحارس الكهل* : كهل جاوز الخمسين.

***الحارس الشاب الثاني* : شاب في الثلاثين من عمره.**

- *المحامي* : شاب في سن الخامسة و الثلاثين من عمره ، متطوع لدى رابطة حقوق الإنسان زيادة على عمله الرسمي في مكتبه.

- *القاضي* : كهل في الخمسين من عمره.

- *السجينات* : هنّ نساء من بيئات اجتماعية و خلفيات ثقافية مختلفة.

جرعة حياة٢٥ ١١

المشهد الأول

يفتح السّتار على غرفة توقيف ضيقة بإنارة خافتة، حيث جلست فتاة في منتصف العشرينات على السرير.

يفتح باب الغرفة، لتدخل سيدة بدى على هيئتها الكثير من الأناقة.

يطلب منها السجان الاستقرار على أحد المفارش الملقاة على الأرض.

- السجان: هل أنت جائعة؟

- السيدة :لا شكرا.

ثم يقفل الباب و يغيب، تستدير السيدة للفتاة الجالسة على طرف السرير موجهة إليها الحديث.

- السيدة: اسمي ماجدة.

و مدت يدها لمصافحة الفتاة ، التي مدت يدها بدورها .

- الفتاة : و أنا منى .

- ماجدة : تشرفت بمعرفتك يا منى .

- منى : و أنا أيضا يا ماجدة .

- ماجدة : سعيدة لأنني لن اقضي ليلتي الأولى في هذا التوقيف بمفردي .

- منى : و أنا أيضا ، ...تفضلي اجلسي يا ماجدة ، قد لا يكون المكان رائعا ، لكنني أدأب على تنظيفه ، اجلسي ، أرجوك.

- ماجدة : أجل لقد لاحظت ذلك ، الغرفة نظيفة و رائحتها جميلة ، شكرا .

جلست ماجدة ، على السرير بجانب ، منى ، و أجالت النظر في أرجاء الغرفة ثم وجّهت السؤال إلى ، منى .

- ماجدة : منذ متى و أنت هنا ؟

- منى : منذ ستة أشهر ، ...أنا لست هنا بسبب جرم ما .

- ماجدة : لا بأس ، أصدّقك ، و لست مضطرة لإخباري حتى.

- منى : ربما أردت فقط أن أوضّح .

- ماجدة : صدّقيني لست مضطرة للتوضيح يا عزيزتي ، هل فاتك أنني أجلس إلى جانبك على نفس السرير ، و أشاركك نفس الغرفة .

ضحكت منى بصوت شبه مسموع و ضحكت ماجدة بدورها .

- ماجدة : هل لي فقط بسؤال ؟

- منى : أجل تفضّلي ، يمكنك ذلك .

- ماجدة : أنت لست أصيلة هذا البلد ؟ لهجتك تبدو لي مختلفة؟

- منى : أجل لست أصيلة البلد ، أنا مواطنة أجنبية كما تحلو لهم تسميتي، ألا يبدو علي ذلك ؟ مبتسمة.

- ماجدة : كنت وددت لو أقول مرحبا بك بين اهلك ، لكن يبدو أن صدر البلد أصبح أضيق من أن يتّسع لفتاة ، لقادم جديد يا صغيرتي و لعل الأسوأ أنني حتى لا أحس بأنني أهل لأن أرحب بأيّ كان في مكان ، ليس مرحبا بي فيه .

- منى : لا بأس الوضع نفسه أينما حللت و لا استثناء في ذلك ،...أساسا هذا هو سبب وجودي هنا ، لقد تجاوزت مدة الإقامة الشرعية المسموح بها ، بسنة ، لهذا تم القبض علي و إيقافي .

- ماجدة : أنا حقا جد آسفة ، فقط لو أن الأمر بيدي ، لما نمت ليلة واحدة بين جدران هاته الغرفة المظلمة الباردة .

أمسكت ماجدة ، بيد منى و قد اكتسى الأسف وجهها .

- منى : لا بأس ، لا تشعري بالأسف لأجلي ، همّوا بترحيلي و إعادتي إلى بلدي ، لكن و بسبب الحرب التي دمّرته و لم تترك لي فيه ، لا أرضا و لا سندا ، رفضت ،

و قمت بطلب اللّجوء عن طريق منظّمة إنسانية ، إلى بلد لا أحاكم فيه لأنه لم يعد لدي وطن .

- ماجدة : أنا حقا جد آسفة ، كنت أظن أن مثل هذا لا يحدث إلا بأوروبا ، أن يُجرّم مواطن عربي في بلد عربي بأنه مخالف ، مقيم غير شرعي ، أريد أن اعتذر منك يا ، منى ، مرة أخرى على عجزي و قلة حيلتي ، باسمي و باسم شرفاء هذا البلد .

- منى : انسي الموضوع ، أنا متأكدة أن الأمور لن تظل على ما هي عليه و أنها لا بد ستسير في طريق الحل ، اطمئني .

ظلت ماجدة مطرقة الرأس قليلا ثم رفعته إلى السقف كمن يبحث عن منفذ .

- ماجدة : على أية حال ، لا أظنّ أنّ حالي أفضل من حالك بكثير ، لكنني على الأقل اخترت ما أنا عليه ، و ما أفعله ، و كنت أعرف التبعات جيدا ، لأنّ مثل هاته القرارات تجُرُّ وراءها الكثير من المفاجآت ...لكنني كنت على أتمّ الاستعداد لتحمّل الّتبعات .

- لكن و للأمانة ، حتى المفاجآت ، لا تخلو من عنصر المفاجأة .

- منى : عن أية مفاجأة تتحدثين ؟

- ماجدة : أنا صحفية و مدوّنة ، خارجة عن القانون الذي يقرّرون من خلاله ، إماتة شعب لتحيى ثُلّة من الأوباش ، المرتزقة و اللصوص .

- منى : آه حسنا لهذا أنت هنا إذا ؟

- ماجدة : سبب توقيفي اليوم هو تعاطي المخدرات .

بدأت ، ماجدة الحديث و هي تبتسم ثم سرعان ما تحولت تلك الابتسامة إلى ضحك ثم قهقهة تحولت إلى هستيريا من الضحك ، قاطعها طرق قوي على الحائط .

خفضت ، ماجدة ، صوتها في حين ظلت ، منى ، تنظر إليها مستغربة و قد ارتسمت على وجهها عديد علامات الاستفهام .

توقفت ، ماجدة ، عن الضحك ، رغبة منها في التوضيح .

- ماجدة : أنا طبعا لا أتعاطى المخدرات ، لا أعرفها ، و لم أرى أيّا منها ولو مرّة واحدة في حياتي ...وهذا تحديدا ما أسميته ، آنفا عنصر المفاجأة ... على أية حال ، احمد الله أنهم لم يهتدوا إلى أسوأ من ذلك .

- منى : و هل يفعلون ؟

- ماجدة : لن تستطيعي تصور ما هم قادرون على فعله ، سبق و أن فعلوا ما هو أسوأ .

ربّتت ، منى ، على كتف ، ماجدة .

- منى : انزعي حذاءك أرجوك و استريحي قليلا .

ناولتها قنينة ماء دافئ ، كانت تدفّئها على أنابيب التدفئة المركزية.

- منى : يمكنك أن تغسلي قدميك بهذا ، سيريحك ذلك بعض الشيء .

- بعض من الماء الدافئ كفيل بإزالة القليل من التّعب .

ثم بدأت البحث عن صابونه ، ناولتها لماجدة ، أخذت ماجدة الصابونه و القنّينة من يدها .

- ماجدة : شكرا يا منى ، كنت حقا في أمس الحاجة إلى ذلك ، حذائي لم يكن مُريحا ، و بقيت ساعات واقفة ، حتى لم اعد أحس بقدمي .

أخذت القنّينة و وقفت ثم وجهت السؤال إلى منى :

- ماجدة : هذا هو الحمّام أم أن هنالك واحدا بالخارج ؟

- منى : بل هذا هو ، مرحاض و حمام في الآن ذاته ، ثم عقبّت ، إنه نظيف ، ينقصه فقط الماء الدافئ ، لهذا أقوم بتدفئة قناني الماء على الأنابيب ، استعملها في الاستحمام أيضا .

أومأت ماجدة أن شكرا و هي ترفع القنينة إلى الأعلى ، و دخلت الحمام لغسل رجليها ، حين خرجت كانت ، منى ، قد جهزت منشفة ، حيث قامت ، ماجدة ، بتنشيف رجليها ، ما إن أكملت حتى ناولتها ، منى ، جوارب و عقّبت :

- منى: و هذه جوارب نظيفة، اعلم ما يمكن أن يصيب الأقدام من برد، بعد تعب شديد.

- ماجدة : شكرا كثيرا لك ، جعلتي ، ليلتي أكثر دفئا ، ثم شدت على يدها و واصلت :

- أعاني مشكلة برد في الأطراف حتى في الصيف ، فما بالك بهذا الطقس ؟

ارتدت الجوارب و جلست على فراش في الأرض ، قبالة ، منى ، طلبت منها ، منى ، أن تأخذ سريرها ، لكنها رفضت .

- ماجدة : حين أكون متوترة قليلا ، يشعرني النوم على الأرض بالتوازن و يخفف من حدة توتّري و غضبي .

ابتسمت كل منهما للأخرى في تعبير على الامتنان و كادتا تهمّان بالصمت لولا أن فاجأهما صوت صرير الباب و هو يفتح من جديد .

المشهد الثاني

ظهر الحارس من جديد و برفقته سيّدة ، أدخلها معلّقا :

- الحارس : آسف إن كان المكان لا يليق بمقامك ، لكن لا بأس اعذري فقرنا ، قد جاد الفقير بما لديه ، و واصل ، هيا رحّبوا بالنّزيلة الجديدة ، مبتسما .

أعقب ذلك بغلقه للباب بقوة ، لتظهر عند الباب سيدة ، كثيرة التبرّج بدا من ملابسها أنها عائدة من سهرة .

فستان احمر قصير كشف عن أجزاء كثيرة من جسمها كانت تحاول عبثا تغطيتها بوشاح حريري شفاف .

ظلّت على حالها متسمرة عند الباب بكعبها العالي إلى أن بادرتها ، ماجدة .

- ماجدة : ادخلي ، تفضلي ، استريحي .

شكرتها ، ثم نزعت حذاءها و جلست على الأرض بجوار ، ماجدة ، بينما ظلّت ، منى ، تنظر إليها بشيء من الامتعاض ، دفعها إلى سحب ثوبها الأبيض أكثر فأكثر ، لتغطية المزيد من قدميها ، ما دفع النزيلة الجديدة كما وصفها الحارس إلى مد الوشاح على جزء من ركبتها في محاولة تغطيتها ، نظرت ، ماجدة إلى الاثنتين ثم إلى القادمة الجديدة و مدّت يدها لها .

- ماجدة : أنا ، ماجدة ، ثم أشارت بيدها إلى ، منى ، و هذه ، منى ، فما اسمك ؟

- نوسة : اسمي ، نوسة ، يمكنك أن تناديني ، نوسة .

ازدادت علامات الامتعاض على وجه ، منى ، خاصّة بعد أن وجّهت ، نوسة ، سؤالها .

- نوسة : ما تُهمُكن ؟ مُراودة ؟ عمل خارج أوقات العمل ؟ أنتن راقصات ؟

صمتت قليلا أمام صمت مُحدّثتها ، ثم واصلت :

- نوسة : تعاطي ؟ سرقة ؟

عادت إلى صمتها برهة و واصلت :

- نوسة : أنا حقا آسفة ، لا يبدو عليكن أي من ذلك ، يبدو أنني قد أسأت التقدير و أزعجتكما ؟ آسفة مرة أخرى .

هنا قاطعها صوت ، منى ، و قد اكتسى بعض الحدة التي تنم عن الغضب :

- منى : و ماذا عنك ، ماذا لو تخبرننا أولا بسبب تشريفك لنا؟

- نوسة : إنّه سوء الحظ .

- منى : تهمتك ؟ هي سوء الحظ ؟ و منذ متى أصبح سوء الحظ جريمة.؟

- نوسة : بلكنة ساخرة ،منذ الآن، إذ لا يكفي أن الحظ لم يسعفني في العثور على زبون جيّد هاته الليلة ، بل و فوق ذلك ، قاموا بمداهمة ، الملهى ،الكباريه.

- منى : الكباريه ؟؟؟

- نوسة : اجل فأنا أعمل مرافقة بالطّلب .

- منى : و أيّ نوع من المرافقة توفّرين ؟

- نوسة ، و قد بدأت تضيق ذرعا بمُنى ، و بشيء من العدوانيّة أجابتها :

- ذلك الذي ينتهي في سرير مخملي مأجور ، تراك لا تعرفينه؟

هنا و خوفا من أن يتحول هذا النقاش إلى عراك ، تدخلت ، ماجدة :

-: فتيات أرجوكن توقفن ، و هذا أمر.

ثم وجهت حديثها إلى نوسة :

- ماجدة : لنحاول أن نتصرف مع بعض بشيء من اللطف ، لتقاطعها ، منى ،

- منى : لكن عن أي لطف تتحدثين يا ، ماجدة ، إنها ، مومس ، و هي تحاول جمع كل البيض في سلة واحدة .

هنا وقفت ، نوسة ، و همت بالهجوم على ، منى ، لكن ماجدة وقفت في طريقها لمنعها .

- ماجدة : توقفا ، كلتاكما أخطأت في حق الأخرى ، اعتذرا ...

ثم استدارت لمنى :

- لكل شخص ظروفه ، و نحن هنا و بفعل الزمان و المكان ، أصبحنا فعلا بيضا في سلة واحدة ، ثم نظرت إلى ، نوسة :

- و أنت يا نوسة ، من المؤكد، تعرفين أن الناس لا يعيشون جميعا بنفس الطريقة لهذا فإنّ قليلا من الحذر قبل طرح أي سؤال سيقيك من الوقوع في موقف مماثل .

نظرت الفتاتان لبعضهما البعض ، تراجعت ، نوسة ، و عادت للجلوس منكّسة الرأس في حين عادت ماجدة للجلوس بجانبها و واصلت :

- ماجدة : وُلدنا جميعا بظهور عارية ، منظر اللحم ، يغري السياط بالانهيال عليه أحيانا ، و ما أكثر هاته السياط و ما أشد تنوعها .

بدا على الفتاتين التركيز و قد تعلّقت عيونهما بها .

- ماجدة : أول هاته السياط و أشدها ، الجهل ، أحد أكثرها فجورا ، الفقر ، أشهرها ، القمع ، أكثرها حدة ، الظلم و القائمة تطول .

نظرت إلى كلتيهما و ابتسمت ،

- ماجدة .لنكن يا معشر النساء أكثر رفقا ببعضنا البعض ، أقول هذا و الله و أنا غير راضية لأنني أكره أن أتوجه إليكن كنساء ،أحبذ أن أخاطب الإنسانة داخل كل واحدة منكن .

ردتا عليها الابتسامة ثم نظرت كل منهما للأخرى و ظلتا على تلك الحال إلى أن انطفئ النور تدريجيا في الغرفة ، أطبق الصمت على المكان في حين سمع صوت بكاء خافت و مكتوم ،في نفس الوقت الذي لهج فيه صوت آخر بالدعاء .

-: أستغفرك اللهم و أتوب إليك و أسالك التوفيق و الهداية و الستر.

-: أستغفرك اللهم و أتوب إليك و أسالك التوفيق و الهداية و الستر.

-: أستغفرك اللهم و أتوب إليك و أسالك التوفيق و الهداية و الستر.

-: يا رب أسبل علي سترك.

-: يا رب أسبل علي سترك.

-: يا رب أسبل علي سترك.

المشهد الثالث

غرفة يتوسطها مكتبان و لوح مفاتيح كبير مع بعض الكراسي القديمة المكدّسة على طرفي الغرفة التي يتقاسمها حارسان ، شاب في منتصف الثلاثين و كهل جاوز الخمسين ، دأب الحارس الشاب على تقليم اظفر خنصره بمبرد كان من حين إلى آخر يخط به شيئا على طاولة مكتبه بينما أمسك الحارس الكهل بقلم كان يخط به من حين إلى آخر شيئا على جريدة وضعت قبالته ، هكذا إلى أن ألقى به على المكتب بشيء من الملل :

- الحارس الكهل : لا اعلم من الغبي الذي يكلفونه كل مرة بمهمة إعداد هذا الركن الذي أصبح جد تافه و ممل .

- الحارس الشاب : ربما أنه قد آن الأوان لتمدهم ببعض مهاراتك في إعداد الكلمات المتقاطعة ...، لقد أصبح الأمر أشبه بشريط مسجل ، أنت تعيد نفس الملاحظة في كل مرة و لا تنفك تشكو من غباء معديها ، جد لك شيئا آخر تفعله .

- الحارس الكهل : أنت على حق ، ربما علي إطالة احد اضافري و تمضية الليل في تقليمه و التفرج عليه ، أخذ القلم من جديد و عاد إلى جريدته .

-: استمع إلى هذه ، كلمة بثلاثة أحرف بمعنى ، جبان و

غادر ؟ آخر حرف فيها اللام .

فكر الحارس الشاب برهة و هو يخط شيئا ما بمبرده على الطاولة ثم رفع رأسه و الغبطة تعتريه :

- الحارس الشاب : نذل ؟ اجل نذل .

- الحارس الكهل : أجل نذل و هذا ما أنت عليه ، نذل .

الحارس الشاب : لا يحق لك ذلك ، لو لا فارق السن ، لكنت رددت عليك .

- الحارس الكهل : كنت فقط أطبق نصيحتك ببدء إعداد هذا الركن ، أنت ألهمتني .... ثم واصل ،

- هل سألت الموقوفتين إن كانتا جائعتين ؟

- الحارس الشاب : مع أنني لا أحبذ ذلك ، إلا أنني سالت تلك الصحفية المتغطرسة.

- الحارس الكهل : و ماذا عن الموقوفة الثانية ؟

- الحارس الشاب : ماذا ؟ المومس ؟؟؟ طبعا لم اسألها ، و إن تكن جائعة ؟ فلتذهب إلى الجحيم .

- الحارس الكهل : و مع ذلك ، كان عليك أن تسألها .

- الحارس الشاب : لست مجبرا على ذلك ، على أية حال ، هذا توقيف مؤقت ، و ليس من ضمن صلاحياتنا و لا واجباتنا تقديم الطعام ، يمكنهما الانتظار إلى أن يُبتّ في أمرهما، سوف يقدمون لسموهما ما تتسمّمنه ، حين تنقلان إلى السجن بعد الحكم .

هزّ الحارس الكهل رأسه :

- الحارس الكهل : لا حول و لا قوة إلا بالله ، أنت تعلم أن بعضهن تبقين شهورا هنا و أن تلك التي لا تملك عائلة أو شخصا يهتم لأمرها ، قد لا تجد حتى من يطعمها .

: حسنا و ماذا عن التدفئة ؟ الجو بارد هاته الليلة .

-الحارس الشاب : في الجحيم ، في الجحيم أيضا يمكنهن أن تنعمن بكثير من الدفء .

هنا وقف الحارس الكهل و توجه إلى لوح المفاتيح .

- الحارس الشاب : إلى أين ؟ هل أخذتك بهنّ الّرأفة ؟

- الحارس الكهل : اجل و الكثير من الخوف من الله ، إنهن نساء ضعيفات ، لا حول لهن و لا قوة .

- الحارس الشاب : ماذا تنوي أن تفعل يا مبعوث الرحمة ، أيها المُخلّص .

- الحارس الكهل : أنا ذاهب إلى غرفة التدفئة المركزية ، لإعادة تشغيل التدفئة .

- الحارس الشاب : ليكن إذا ، أنا لن اذهب .

غاب الحارس الكهل برهة ثم عاد ، أعاد المفاتيح إلى مكانها من اللوح ثم جلس و هو يُقلّب الجريدة من جديد .

- الحارس الشاب : الرجل القوي ، لا يجب أن تأخذه الرحمة و لا الشفقة بتلكم العاهرات .

رمقه الحارس الكهل بنظرة حادة .

- الحارس الكهل : إلى ماذا تلمّح ؟

- الحارس الشاب : بالنسبة لي ، أو على الأقل في ما يخصني ، لست هنا لحراستهن أو السهر على راحتهن ، نلن ما تستحقه أمثالهن ، هذا جزاء من يغادر قشوره و ينسلخ عن جلده .

- الحارس الكهل : أوّلا أنت تُعّمم ، ثانيا بت ألمس في كلامك الكثير من العدوانية ، أراني أحاول و منذ مدة تحمّل هذا السّخط الذي لا أجد له أي مبرر و في الحقيقة ، لا أظنني حتى مضطرا إلى ذلك .

- الحارس الشاب : اعتذر إن كانت صراحتي قد أزعجتك .

- الحارس الكهل : بين الصراحة و الوقاحة يا بني، شعرة ، أنت تستمر في قطعها كلما تسنّى لك ذلك ، أنا لست هنا للدفاع عن أي شخص ، لكنني في المقابل ، أفعل ما أراه صائبا ، لأن هذا واجبي تجاه نفسي و تجاه ربي .

- الحارس الشاب : لا تنزعج يا صديقي ، لن يسائلك ربك ، عن مومس ؟

- الحارس الكهل : هل سبق و أن قضيت ليلة مع مومس ؟

- الحارس : الشاب ، أبدا ، هذا لم يحدث و لن يحدث .

- الحارس الكهل : أنت رجل عفيف إذا ؟

- الحارس الشاب : لا ، لم اقل ذلك ، و لكنني لا اقضي الليل مع امرأة ، تتقاضى أجرا على ذلك .

- الحارس الكهل : بعض الرجال يستحق أن تتقاضى زوجته أجرا على قضاء الليل معه .

فرقع ضحكة و واصل :

-: إذا فإن جل ما يزعجك هو أنها تتقاضى مالا ، لقاء ما يجب أن تقدمه مجانا؟

- الحارس الشاب : غاضبا ، أصلا لسن سوى ، عاهرات ، كلهن عاهرات ، هذا ما هن عليه ، و ليس من بينهن واحدة ، وحيدة تستحق الاحترام أو التقدير.

يخرجن عن طاعة آبائهن ، أزواجهن ، مجتمعهن ، ظنا منهن ، أنهن يغيرن العالم ، ثم و بعد كل ذلك تريد مني أن أقدّرهن .

- إنهن لا ينجزن ، لا ينتجن و يتعالين ، ثم يبدأن بمنافستنا في كل شيء و على كل شيء .

- الحارس الكهل : أخبرني عمّن تتحدث بالتحديد ؟

- الحارس الشاب : عن أولائك اللاتي اكتظت بهن الشوارع ، المحلات ، المقاهي ، المطاعم ، الكباريهات و حتى الحانات ، هن وباء .

- الحارس الكهل : لا تحدثني عن الوباء لأنه منتشر في الجنسين ، فلا تأسف .

-: نحن ندفعهن إلى الرذيلة ، نُرغّبُهُنّ فيها و نشاركهن الفعل ثم نتنصّل منهنّ لحظة الحقيقة ، لأن هذا أيسر .

-: ثم و بالحديث عن الحقيقة ، سأخبرك بالحقيقة التي أعرفها ، ليس للخطايا جنس محدد بعينه ، الكل ضليع في الجرم ، كما و ليس للعقوبة جنس أيضا ، و نحن لسنا مخوّلين للحكم على الناس من خلال معرفتنا الضّيّقة لبعض الأمثلة التي ربما نكون قد عايشناها .

- الحارس الشاب : ما الذي تقصده ؟

- الحارس الكهل : القراءة مفتوحة يا بني ، ما أريد قوله ، هو أن كل ما علينا فعله هو أداء واجبنا تجاه أرواح بعضنا البعض ، لا تحاسب الأجساد ، إنها ضعيفة ، و لإن قررت أن تفعل ، فابدأ بنفسك أولا .

المشهد الرابع

داخل غرفة التوقيف و مع انبلاج الصباح ، استيقظت كل من ، نوسة ، ماجدة و منى على صوت خرير مياه قوي ، تقدمت المياه بسرعة ، سارعن بدورهن إلى إنقاذ المفارش و الأغطية ، بينما سحبت ، منى ، حقيبتها من تحت السرير مع كراتين كانت تخبئ بداخلها بعض الأغذية ، استمرت المياه في الارتفاع إلى أن أصبحت بمستوى الركبة ، بدأن بطرق الباب و المناداة ، فسارع الحارس بفتح الباب ، حيث كانت كل الغرف المطلة على الممر مفتوحة ، تضافرت جهود الموقوفات لإخراج المياه التي نالت من كل ما طالته و أمام عجزهن و على مضض قدم الحراس لهن المساعدة ، في الأثناء دارت بين الموقوفات أحاديث يبدو أنها بثّت الغيض في نفوس الحراس فمنعوهن من الحديث و لكن عبثا ، هنا و لبثّ الحماس و إضفاء شيء من المتعة بدأت الموقوفات بدندنة لحن ، سرعان ما تحول إلى غناء جماعي ، ساعات طوال و هن يحاربن الماء و ما جلب معه إلى أن نجحن في تنشيف القبو نهائيا من الماء .

هنا رأى الحراس أنّه ما من داع لترك الأبواب مفتوحة ، فأمروا الموقوفات بالعودة إلى غرفهن و أوصدت الأبواب من جديد .

بدأت كل من ، منى و ماجدة بمحاولة إعادة ترتيب الغرفة ، لكن المياه كانت قد أتت على جزء كبير من المفارش و الأغطية .

- ماجدة : لقد منعوني من استعمال الهاتف ، لمكالمة عائلتي ، لكن أظن أن محامي ، سيتصل بهم ، لكن ، حتى هو لا يعرف أنهم غيّروا مكان توقيفي ، يا إلهي ؟؟

- منى : لا يسمحون لصديقتي بزيارتي سوى يوم الثلاثاء و اليوم ، خميس ، أي مازال أمامنا نصف أسبوع كامل و إلا كنت لطلبت منها أن تجلب بعض الفرش و الأغطية .

- ماجدة : لكن غير معقول ؟ ألا توجد مفارش و أغطية في التوقيف ؟

- منى : بلا ، لكنها لن تكون نظيفة حتما .

- ماجدة : صحيح ، لكن ما الحل ؟ نحن لا نملك خيارات متعددة هنا .

تدخلت ، نوسة ، بشيء من الثقة :

- نوسة : اعتبرا المشكل محلولا .

ثم أدخلت يدها في صدرها ، لتخرج هاتفا محمولا ، و أمام تفاجئ رفيقتيها ، فتحته :

- منى : كنت أحمل معي اثنين أصلا ، أعطيتهم واحدا و احتفظت بالثاني ، من حسن حظي لم يخطر ببال أي منهم إعادة تفتيشي .

ناولت الهاتف لماجدة .

- ماجدة : شكرا لك ، أنا جد ممتنة ، لكنني أخاف أن يسمعوني.

- منى : ادخلي الحمام ، و حاولي الحديث بصوت خافت سوف نستمر أنا و نوسة بالحديث ، كي لا نلفت الانتباه ، و ابتسمت .

- ماجدة : شكرا لك يا نوسة ،شكرا لك يا منى .

أسرعت ماجدة بالدخول إلى الحمام لإجراء المكالمة في حين بدأت الرفيقتان ، حديثهما .

- نوسة : أنا جد آسفة إن كان حديثي البارحة قد أزعجك .

- منى : لا داعي لأن تتأسفي ، و اعتذر ، أن نعتّك بما نعتّك به .

- نوسة : انه عملي ، و هذا ما أنا عليه حقيقة ، لكنّني لم أولد هكذا ، مبتسمة ، ثم واصلت :

-: لكنني أيضا لم أكن في يوم ملاكا .

ابتسمت ، منى و في محاولة لإضفاء شيء من الطرافة .

- منى : لنقل أنها تجارة و انك ببساطة ، تاجرة .

- نوسة : و قد فرقعت ضحكة ، تاجرة لحم ، أي أنني جزار ، لكن كل ما في الأمر ، أنني اقتطع من لحمي .

تغيرت ملامح نوسة فجأة و كساها شيء من الحزن .

- نوسة : لكن الأمر لا يخلو من شيء من المتعة على أية حال ، و إلا لما كنت استمريت في فعله .

- منى : أنت أدرى و لا شك بما يناسبك ، و قد عاودت نبرتها العدوانية القديمة .

خرجت ماجدة من الحمام في هاته اللحظة بعد أن أنهت مكالمتها .

- ماجدة : آسفة على التدخل ، لكنني و عن غير قصد استمعت إلى آخر ما دار بينكما ، ليس هنالك أية متعة في أن تجد امرأة نفسها ، مجبرة على منح جسدها مقابل رغيف ، و هذا لا يحدث منذ اليوم ، بل إنها أقدم أنواع الابتزاز و المساومة عبر التاريخ ، لست أعلم من الذي أسّس لذلك أولا ، لكن العالم كله اليوم ، مستفيد من مساومة النساء على بطونهن ، وتوظيفهن للدفع إلى الاستهلاك في كل شيء.

العالم كله يتاجر بالنساء اليوم ، الدول ، الأنظمة ، الشركات المتعددة الجنسية ، و للأسف النساء أيضا انخرطن في اللعبة.

- منى : لا اعلم إن كنت قد فهمت جيدا ما ترمين إليه ،لكنني تعرضت إلى الكثير من الابتزاز و المساومة من اجل ، إيوائي ، أو إطعامي ، لم اعد اذكر عدد المرات ، التي كنت اقصد فيها احدهم ، من اجل البحث عن عمل لقاء جهدي ، ليعرض علي أجرا مضاعفا في سبيل تمضية ساعة في سريره ، اخذ صوتها يحتد .

-: لكنني كنت ارفض و استمريت بالرفض ، لقاء كل الأموال و الخدمات التي عرضت علي ، علا صوتها ، أنا لست للبيع جسدي لن يكون مداسا لآثامكم .

سحبت ، منى ، الفستان لتغطي به قدميها و انطوت إلى أن أصبح جسدها أشبه بكرة .

هنا تدخلت ، نوسة .

- نوسة : لا بأس يا عزيزتي لا تنفعلي ، أنا لم ارفض ، لأن العالم و الحياة يسيران هكذا ، تعلمين من الذي يُسيّرُ هذا العالم اليوم ؟

-: إنهن العاهرات و هذه حقيقة ، لهذا لن يُغير رفضي شيئا ، كل ما في الأمر أنني قد أموت جوعا ، و لن تكتب لي الشهادة حتّى ، لأنني آثمة لا محالة .

تدخلت ماجدة من جديد :

- ماجدة : عزيزتي نوسة ، العاهرات لا يُسيّرن العالم ، هن أداة في تسييره تماما مثل أي أداة إغراء أخرى ، ثم إنني لا أراك آثمة ، أنت فقط ضحية الجشع .

- منى : جشعها ، تقصدين ؟

- ماجدة : بل الجشع في مفهومه الأوسع ، جشع العالم و عطشه لاستنزاف النساء .

: الأنظمة الاقتصادية يا عزيزتي ، تبني أشكالا و أنماطا اجتماعية و أمراضا و عللا ، الأهم هو أن لا نرضى بان نكون ضحايا .

ربّتت ماجدة على كتف نوسة و ناولتها الهاتف .

- ماجدة : شكرا يا نوسة ، هاتفت أخي منذ قليل و سيقوم بجلب كل ما يلزمنا ، فأنا لا أعلم بعد، كم سنمكث هنا .

- منى : لن يسمح له الحارس بإعطائك أي شيء ، إن لم يقدّم له مالا .

- ماجدة : سنرى ماذا يجب أن نفعل ، لكننا سنحصل على كل ما نحتاجه .

- نوسة : ألم ينزعج أخوك ، حين أخبرته انك موقوفة ؟ ألم يغضب؟

- ماجدة : بلا ، انزعج كثيرا ، و بعد صمت أكملت ماجدة ، من أجلي .

- نوسة : من أجلك ؟ أي انه ليس غاضبا منك ؟

- ماجدة : لم افعل ما يجلب علي غضبه ؟ فلم يغضب مني ؟

تدخلت منى :

- منى : هي لم تبع جسدها و لا امسكوا بها متلبسة في احد الملاهي الليلية ، ماجدة صحفية و مناضلة ، و أنا متأكدة أن أخاها فخور بها .

- نوسة : و هل عيّنتك محامية عنها ، ثم و بالحديث عن الشّرف ، النساء ضحايا لأجسادهن و إن لم يخترن ذلك ، أنا فقط اخترت ، اجل اخترت أن استفيد من ضعفي .

ثم ، انه واضح من لهجتك ، انك لست أصيلة هذا البلد ، أنا لم أسألك كيف وصلتي إلى هنا ؟ اعرف من أين أتيتي و كيف وصلتي إلى هنا ، العفيفات من بنات بلدك ، وُورين التراب ، تعلمين لماذا ؟

لأنهن رفضن ، فكيف وصلتي إلى هنا ؟ اخبريني ؟ لا بد انك قدّمت بعض الهدايا على الطريق .

هنا بدأت ، منى ، بالصراخ و سحب فستانها في محاولة لتغطية جسدها ثم سرعان ما تحول صراخها إلى بكاء ثم إلى نحيب ، حاولت ، ماجدة التدخل ، لإسكات ، نوسة ، لكن عبثا واصلت ، نوسة و قد اخذ منها الغضب مأخذ الشيطان .

- نوسة : سأخبرك بشيء آخر ، أنا على الأقل ، اختار ، و ربما كنت حرة و أكثر عفة منك ، لأنني حين أقف أمام المرآة ، أعرفني ، أرى وجهي ، لا أحد يجبرني على فعل ما لا أريده ، لنقل انه ما زالت لدي أفضلية اختيار جلادي .

-: أما أنت ، فلن تري شيئا ، لأنك مزيفة ، بقدر زيف طهارتك ، و حتى مناضلتك مزيفة ، ألا تعلمين ما يفعلونه بالمناضلات ؟

-: يغتصبونهن و يرفعونهن عاريات لتلتهمهن الأعين و الألسنة و الناجيات من الحروب تُغتصبن ، و في النهاية لا احد سيقوم بإزعاج نفسه بالبحث عن الأسباب ، سوف نوضع في نفس السلة و ستُتلى علينا آثامنا ، أينما وطأت أقدامنا ، ستُوجه لنا نفس النّعوت و سنحمل نفس الألقاب ، عاهرات ، عاهرات ، عاهرات .

-: هذا ما نحن عليه .

-: هذا ما أنت عليه .

هنا وقفت منى و قد أعمى الغضب عينيها و أحبط اليأس لسانها توجهت إلى ، نوسة ، وهي تقبض على شيء في يدها ، لكن و قبل أن تصل ، و على وقع الصراخ ، فتح الباب و دخل الحارس الشاب .

- الحارس الشّاب : ما كل هذا الضجيج و الصراخ ، يا أخوات إبليس ،؟ من التي كانت تصرخ و رفع يده ليصفع ، نوسة ، ثم همّ بسحبها إلى الخارج قامت كل من ، منى و ماجدة بمحاولة منعه و لكن و قبل أن تفعلا انقطع التيار الكهربائي و علا الصراخ الذي كان مزيجا من صوت ، منى ، نوسة و ماجدة ، حين عاد التيار الكهربائي ، كان الحارس ملقى على الأرض ، و الدماء تنبعث من فمه و رقبته ،

نفس الدماء التي كانت تغطّي سكينا كانت ملقاة على الأرض بجانبه ، نفس الدماء التي كانت تغطي وجه منى ، يدي نوسة و ثياب ماجدة .

الفصل الثاني

المشهد الأول

قاعة محكمة ، يتوسطها منصة القضاة ، منصة هيئة المحلفين و قفص تقف وراءه كل من ، ماجدة ، منى و نوسة .

فُتحت الجلسة بأن دق القاضي بمطرقته و بدأ:

- القاضي : الجلسة الأولى في يومه و في تاريخه للنظر في القضية عدد٢٥١١

في حق المجني عليه الحارس ...ضد كل من المتهمة، ماجدة ، و المتهمة منى و المتهمة نسرين .

نظرت كل من ، ماجدة و منى إلى نوسة التي عرفن اسمها للتو .

- القاضي : ليتقدم المدعي العمومي ، و المحامين ، ثم واصل ، بصوت خافت :

-: هل انتم مستعدون ؟

-أجابوا ، أن اجل ، فطلب منهم العودة إلى أماكنهم و طلب من المدعي العمومي البدء .

-المدعي العمومي : في ليلة السابع عشر من ديسمبر ٢٠١٥

و بعد شجار دار بين المتهمات الثلاث في غرفة توقيفهن ، كما شهد احد الحراس الذين كانوا يناوبون تلك الليلة ، قام المجني عليه بالتحرك لفهم سبب الشجار و إيقافه .

هذا الشجار الذي كان مفتعلا ، و الذي كان الهدف الوحيد من وراءه ، التخطيط لقتل الحارس و محاولة الهرب .

حاول احد المحامين التدخل للاعتراض و فعلا ، قبل اعتراضه ، ثم واصل المدعي العمومي سرد تفاصيل القضية .

- المدعي العمومي : سيدي القاضي ، ما حدث هو سرد لوقائع ما حصل في تلك الليلة ، علما سيدي و انه زيادة على ذلك فان الموقوفات الثلاث محل تتبع في قضايا سابقة بتهم مختلفة ، تراوحت بين ، الإقامة الغير شرعية ، تعاطي المخدرات و الاتجار بالدعارة .

هنا تدخل المحامي مرة ثانية و قدم اعتراضا .

- القاضي : اعتراضك مقبول ، تفضل .

-المحامي : شكرا سيدي القاضي ، أولا لا يخفى عنك سيدي الرئيس أن المتهم يظل بريئا إلى حين إثبات إدانته ، ثانيا و الأهم أن حضرة المدعي العمومي ، حاول إظهار الأمر ، كما لو انه قتل مع ، سبق الإصرار و الترصد ، في حين انه يحتسب ، قتلا غير عمد و على وجه الخطأ ، ثم و الأهم ، انه حتى في ما يخص

حالة الإيقاف و التي كانت عليها المتهمات الثلاث ، فانه لم يتم إثبات التهم الموجهة إليهن بعد و لا البت في أمرها .

- القاضي : فماذا ،إذا ؟

- المحامي : موكلاتي بريئات من ما نسب إليهن و هذا القتل ، يعد قتلا على وجه الخطأ و دفاعا عن النفس .

هنا تقدم المدعي العمومي ليقدم اعتراضا .

- القاضي : اعتراضك مقبول .

ثم واصل -: من من المتهمات الثلاث التي قامت بطعنه .

- المحامي : و قد اعترى وجهه شيء من الحيرة : ثلاثتهن سيدي ، أو و لا واحدة .

- القاضي : ما هذا الهراء ؟ كيف ذلك ، هل اشتركن في قتله ثلاثتهن ؟

ثم أشار بيده إلى الحارس ، لجلب المتهمة الأولى ، في الأثناء ، همس له احد مساعديه في أذنه ، فرد القاضي بشيء من الاستغراب .

- القاضي : الثلاثة اعترفن بذلك ؟ فإذا ؟؟؟

تقدمت ماجدة من منصة الشهود ، ووقفت ، طلب منها القاضي ، أداء اليمين ، فامتثلت :

- ماجدة : اقسم أنني سأقول حقيقة ما اعرفه و لاشيء غير الحقيقة .

- القاضي : ما اسمك و ما عملك ؟

- ماجدة : أنا ماجدة ، مواطنة من هذا البلد ، اعمل كصحفية و مدونة ،أقوم بدفع ضرائبي و احترم قوانينه و دستوره الذي لم يسن بعد العمل به ، بسبب حالة الطوارئ التي نعيش فيها منذ استقلاله .

هنا و مع الكلمات الأخيرة لماجدة سرى بعض اللغط داخل القاعة ، فسحب القاضي مطرقته و طلب من الجميع مغادرة القاعة ، ما عدى أطراف القضية .

- القاضي : أجيبي عن السؤال و بقدره و لا تأخذينا إلى أحاديث جانبية .

- ماجدة : حسنا سيدي القاضي ، لكم ذلك و لكن ما الذي تريد أن أجيب عنه بالتحديد ، لأن العالم خارج هذه القاعة ، لا يمتثل بمجرد سماع صوت مطرقتكم و لا يسير وفق قوانين و أوامر انه يعيش و يقتات على كل ما هو جانبي،

ضرب القاضي بمطرقته من جديد .

- القاضي : هنا كل شيء يسير وفق قوانين و الكل يمتثل للأوامر ، فاخبريني ؟ ما حقيقة تورطك في مقتل الحارس ، أو أقول لك سنعود للبداية ؟

ثم بدا القاضي بتصفح ملف كان أمامه :

- القاضي : حسنا ما حقيقة تورطك في تعاطي المخدرات ؟

- ماجدة : أنا بريئة من هاته التهمة سيدي ، كل ما فعلته هو أنني أردت أن آخذ جرعة حرية مفرطة على ما يبدو ، أنا و كما سبق أن ذكرت ، مدونة و لم اتعاطى المخدرات يوما و لا حتى اعرف شكلها و لا سبق و أن رأيتها ، لكنني في المقابل ، لست بريئة من قتل الحارس .

حاول المحامي التدخل مرّة أخرى و لكن القاضي منعه .

- القاضي : واصلي إذا يا ، ماجدة ، إذا فأنت تقرّين و تعترفين بتورطك في قتل الحارس .

- ماجدة : لا يا سيدي القاضي ، أنا لست فقط متورطة ، بل أنا التي قتلته .

هنا نظرت كل من ، منى و نوسة ، إلى بعضهما و قد اعترت الدهشة وجهيهما و نالت منهما .

- القاضي : أنت إذا التي قتلته ؟

- ماجدة : اجل أنا التي قتلته .

- القاضي : اخبريني كيف ذلك و ما الأداة التي استعملتها ؟

- ماجدة : لكن سيدي ربما وجب أولا أن أخبرك لماذا ؟

- القاضي : هذا إذا اعتراف ضمني منك ، بأن لديك ما يدفعك لقتله ؟

حاول المحامي التدخل من جديد :

- المحامي : موكلتي يا سيدي الرئيس ، ليست في حالة ذهنية جيدة ، سيدي ،التمس من جنابكم الموقر...

لتقاطعه ، ماجدة ،

- ماجدة : لا بأس ، استطيع الإجابة و أنا أعي جيدا ما أقوله .

هنا طلب القاضي من المحامي الجلوس و عدم التدخل إلا بإذن ، ثم أشار إلى ماجدة أن أكملي :

- ماجدة : سيدي ، القصة قديمة بعض الشيء ، فقد بدأ الأمر في اليوم الذي سللت فيه قلمي و قررت أن أُشرّعه لفضح و سلخ كل الزيف عن وجه هذا البلد،

هنا عاود القاضي سحب مطرقته و طرق بها بحدة على الطاولة .

- القاضي : لقد عاودت الخروج عن الموضوع .

- ماجدة : بل أنا في صلبه سيدي ، صدقني ، لا اسألكم إلا التحلّي بالقليل من سعة الصدر ، حتى استطيع الإدلاء بشهادتي ، أو بالأحرى اعترافي .

- القاضي : أوجزي إذا .

- ماجدة : يومها سيدي ، كنت قد وضعت رقبتي بين يديه و أنا أظن أنني أتحرّر منه .

كتبت و نشرت الكثير من العُري ، العُري الاقتصادي ، العري الاجتماعي ، الثقافي ، السياسي و حتى الإنساني .

كنت في كل مرة أسحب فيها قلمي لأشحنه و أعاود التصويب من جديد ، يضع هو كلتا يديه حول رقبتي و يشد إحكامها إلى أن بات يخنقني بتسليطه علي سيف ضعفي الجسدي ، حاربني بطبيعتي ، و دمّر كل جميل من حولي ، أحلامي ، طموحاتي ، رؤاي الجميلة ، سُمعتي و جعل الناس ينفضُّون من حولي بكذبة .

حاولت قطع يديه الأخطبوتيتين ، لأخذ جرعتي من الحياة ، قصاصا ، بأن سلخت عنه كل أقنعته هذه المرة .

-: عوضا عن خنقي ، غيّر ملامحه و حاربني بضعفي من جديد و أكثر من مرة في معارك غير متكافئة ، كنت وحدي حاملة قلمي في مواجهة دناءة أخلاقه ، في مواجهة مجتمعي و في مواجهة نفسي التي انكسرت .

هنا و لأن معركة غير متكافئة لا تنتهي دائما بانتصار الأقوى ، بل بانتصار الأكثر صلابة .

لملمت ما تبقى من جسدي المنهك و قررت أن أصمد ، جمعت ما تبقى من شتات نفسي و روحي الغير ملتئمة الجراح و قررت أن أثأر ، و فعلا ، ثأرت و قتلته ، لأقتل فيه و معه ، كل ما ضاع مني ، اجل ، أنا قتلته ، قتلته ، بسكّينه .

هنا سحب القاضي مطرقته من جديد ، و طرق بها و قد اعترته حمّى من الغضب .

- القاضي : ما هذا الهراء ؟ هيا عودي إلى مكانك و لتتقدم المتّهمة الثانية ، نسرين .

هنا تقدمت ، نوسة ، من منصة الشهود ، حيث طلب منها القاضي ، أداء اليمين ، ثم سألها عن اسمها و عملها .

- نوسة : اسمي نسرين...و ليس لي عمل قار.

- القاضي : تم إيقافك ، متلبسة في احد الملاهي الليلية ، كما و أنك متهمة بالتورط في قتل الحارس ، فما حقيقة ذلك ؟

-نوسة : أجل ، سيدي ، تم إيقافي في ملهى ليلي ، لكنني لم أكن متلبسة بأي جرم.

-القاضي : و ما حقيقة تورطك في قتل الحارس ؟

- نوسة : الحارس ؟ لقد نال ما يستحقه .

- القاضي : فأنت تقرّين ، إذا ، بأنّ لديك سببا وجيها لقتله حسب رأيك .

- نوسة : أجل ، بل أن لدي العديد منها .

- القاضي : إذا فقد أضمرت ذلك ، ثم خططت له ؟

- نوسة : لا يا سيدي ، بل هو الذي خطط له .

- القاضي : و كيف ذلك ؟

- نوسة : خطّط له و منذ زمن ، خطط له يوم اعتدى علي و أنا في الخامسة عشر من عمري و بدل ذلك ، بدل أن ينال عقابه ، قدّمني والدي كمكافأة له و أجبرني على الزواج منه ، بدل أن ينال عقابا على جرمه .

- القاضي : أنت إذا تعرفينه منذ زمن ؟

- نوسة : طبعا اعرفه منذ زمن ، اعرفه منذ بدأ ثدياي بالنفور عن جسدي .

تدخل القاضي بمطرقته من جديد :

- القاضي : التزمي حدود الأدب .

- نوسة : حسنا لا بأس ، سأفعل ، إذا كان ثدياي يخلان بالأخلاق و أللآداب العامة .

- القاضي : واصلي و توخي الحذر.

- نوسة : هو كذلك سيدي ، الحال يا سيدي انه كان يترصد ني عند كل منعطف ، يلاحقني في كل مكان ، حتى كرهت الخروج من البيت ، هكذا إلى أن فعل فعلته.

- القاضي : و ماذا حدث بعد زواجك منه ؟

- نوسة : هل هذا حقا مهم في مجرى القضية ؟ أم انه فقط فضول ؟

- القاضي : ما هذا الهراء ؟ قلت انك تعرفينه منذ زمن ، و الحال أننا يجب أن نعرف ما دفعك إلى فعلتك تلك ؟

- نوسة : تقصد الهرب ؟

- القاضي : كنت تخططين للهرب إذا ؟

- نوسة : لا لم اضطر للتخطيط ، سيدي ، فقط حملت حقيبة صغيرة و هربت من البيت ، لم اقبل الزواج به ، ثم نظرت إلى منى ، لقد رفضت ، رفضت حينها أن أُقدّم كدجاجة على طبق إلى مغتصبي .

- القاضي : أوجزي .

- نوسة : حسنا سيّدي القاضي ، الحال أنني استطعت الإفلات منه حينها ، لأجده لاحقا يتربص بي في كل ركن ، يساومني على قوتي ، إلى أن استسلمت ظنا مني أنني لا استطيع ملئ بطني إلا إذا قدمت جسدي ، هكذا إلى أن بات الأمر يبدو لي أيسر ، حيث لم اعد أقوى على الوقوف في وجهه.

ثم عاودت النظر إلى ،

منى :

-: لكنني لم أتعوّد ، و لا كنت أجد في الآمر أية متعة ، كل ما في الأمر أنني أصبحت اختار وجه مغتصبي ، كل وجه جديد يمحو الذي سبقه فلا يعلق واحد في الذهن ، أصبح الأمر أشبه بلعبة .

عاودت النظر إلى ، منى ثم إلى القاضي :

-: ألا تُعتبر المساومة على القوت ، اغتصابا ؟

- القاضي : هل أتممت شهادتك ؟

- نوسة : تقريبا سيدي القاضي .

- القاضي : حسنا ، عجّلي إذا ؟

- نوسة : تواصلت الحال على ما هي عليه زمنا ، و أنا أحاول بلع سم العيش ، تحت ثوب المومس ، إلى أن قررت يوما خلعه ، و الإغتسال بالدماء التي سالت من جسده غزيرة، لتُطهّرني ، قتلته .

بل أنا التي قتلته ، لأتطهّر، قتلته لأتطهر.

طلب القاضي من ، نوسة ، العودة إلى مكانها و طلب رفع الجلسة إلى ما بعد الظهر ، ثم وقف لمغادرة القاعة ، مغادرا، أسرّ إلى احد مساعديه الذي كان يقف بجانبه :

- القاضي : أهذا ما كنت تقصده ؟

- المساعد : اجل ، تماما ، فقد اعترفت كل واحدة منهن على حدة أنها هي التي قتلته ، لكنهن لم يذكرن كل هاته التفاصيل أثناء التحقيق.

- القاضي : و لكن أية تفاصيل ، انه هراء .

غادر الجميع قاعة الجلسة ، في صمت ، إلا من نظرات ظلّت المتهمات الثلاث تتبادلنها ، لتسمع أصواتهن يوشوشن :

-: أنا التي قتلته .

-: بل أنا التي قتلته .

-: لا بل أنا التي قتلته .

المشهد الثاني

قاعة المحكمة في فترة ما بعد الظهر ، عاد الجميع إلى القاعة ، بما في ذلك الحضور و حتى بعض الصحفيين هذه المرة و الذين حاول الحراس عند الباب جزافا منعهم من الدخول .

هذه المرة حضر وجه جديد إلى منصة الشهود و هو وجه الحارس الكهل .

تقدم احد محامي الدفاع إلى القاضي و هو يحمل بيده ورقة عليها بيانات و أخرى تحمل أرقاما ، طلب من القاضي السماح له بالاقتراب ، فأومأ بالإيجاب ، حادثه محادثة قصيرة بصوت خافت :

- المحامي : سيدي الرئيس، لدي شاهد جديد في هذه القضية ، هذه بياناته و قد قدم ورقة تحمل أسماء و بعض الأرقام أكد أنها ستساعدنا في مجرى القضية .

اخذ القاضي الورقتين من يده و طلب منه العودة إلى مكانه ، بعد حديث قصير دار بينه و بين احد مستشاريه ناداه القاضي من جديد :

- القاضي : مداخلة مقبولة ، يمكنه الإدلاء بشهادته ، حين ادعوه إلى ذلك .

شكره المحامي و عاد إلى مكانه .

افتتحت الجلسة و طلب القاضي من المتهمة الثالثة المدعوة ، منى ، التقدم للإدلاء بإفادتها بعد أداء القسم.

- منى : اقسم بالله العلي العظيم أنني سأقول الحقيقة و لا شيء غير الحقيقة التي اعرفها .

- القاضي : أنت موقوفة و منذ ستة أشهر بتهمة تجاوز اجل الإقامة الشرعية بالبلد ؟

- منى : سيدي القاضي ، هذا صحيح و لكنه غير منصف ، أنا لست مجرمة ، أنا امرأة سلبتها الحرب ، عائلتها ، جرّدتها من السند و ألقت بها إلى المجهول .

صمت القاضي قليلا و هو ينظر إليها ثم قال :

-ا لقاضي : على أية حال هذا ليس منبرا للمساندة ، كما و انه لا يفيد في مسار قضيتنا ، أنت متهمة بالتواطؤ و افتعال شجار لقتل الحارس .

- منى : سيدي القاضي إذا كنت تريد أن اشرح لك ما حدث فيجب أن تسمعني .

- القاضي : أنا هنا ، للبتّ في قضيّة ، أنت إحدى المتهمات فيها و كل ما عدى ذلك لا يدخل في مجال اختصاصي .

سرى لغط في القاعة و أبدى الحاضرون بعض الامتعاض و الاستياء ، فضرب القاضي الذي أحس بشيء من الإحراج بمطرقته من جديد .

- القاضي : سأوجه تنبيها ، أولا و أخيرا ، إلى كل الحضور ، إذا عدتم إلى اللغط من جديد ، فسآمر بإفراغ القاعة من جديد ، ثم عاد إلى منى :

-: هيا تكلمي .

- منى : سيدي القاضي ، ببساطة إذا كنت قد وصلت إلى ما وصلت إليه اليوم و تحديدا وصولي إلى هذه القاعة ، فلأنني امرأة مجردة من كل ما يمكن أن يحميها ، لا وطن لا عائلة و لا مأوى .

-: أنا لست هنا ، بمحض إرادتي ،بل لأن كل سبل النجاة في وطني قد سدت دوني و ما من معين ، خرجت هاربة منه ، لأجد كل الطرق تعيدني إليه و لا عودة .

هنا عاود القاضي طرح سؤاله .

- القاضي : ما حقيقة تورطك في قتل الحارس ؟

- منى : في الحقيقة سيدي ، أنا لست متورطة ، أنا التي قتلته حقا و عن وعي .

- القاضي : إذا أنت تعترفين بقتله ؟

- منى : نعم سيدي .

نظر القاضي إلى المحامي :

- القاضي : أراك لا تتدخل لإنقاذ موكّلاتك ، من اعترافاتهن ؟

- المحامي : سأكتفي ،بالطلب من هيئتكم الموقرة ، التماس أسباب التخفيف .

تغيّرت نبرة القاضي و أصبحت ألين بعض الشيء.

- القاضي : واصلي يا منى .

- منى : شكرا على كرمكم و حلمكم ، سيدي ، سلف و أن أخبرت حضرتكم بأنني قد قتلته ، لكن هنا ربما وجب علي إخباركم لماذا و كيف تم ذلك ؟

أومأ القاضي أن واصلي :

- منى : أنا في البداية لم أكن اعرفه ، و لا حتى رأيته بعدُ ، لكنني حملت صورا عنه ، و خيالات ، رسمتها ، و الكل يتحدث عنه ، ظننته نزيها ، منزّها ، حاملا لفكر أو قضية ، حالما أو عالما ، بسيطا و معقّدا .

كل شيء فيه بدا رائعا ، ربّا لأسرة و أبا حنونا ، إلى أن لفظني اليتم على قارعة الطريق لأبدأ برؤية زيفه ، فانكشف وجهه الغرائزي البشع و يده الآثمة .

بدأت الدموع تنهال سخية من عيني منى ، همّ القاضي بمقاطعتها ، لكنه عدل عن ذلك فواصلت :

-: سيدي ، حين بدأت الحرب ، لم أكن سوى صبية، قد تراودها بعض الأحلام بفستان ابيض و زغاريد ، لأجدني اليوم امرأة مدنسة ، ظل يلاحقها ، لتترك

جزءا منها عند كل معبر ، قالتها وهي تنظر إلى ، نوسة ، التي كانت تنتحب في صمت ثم عاودت النظر إلى القاضي .

-: اجل أنا التي قتلته ، قتلته من اجل ذلك و من اجل الأخريات .

- القاضي : يمكنك العودة إلى مكانك ، إن كنت قد أنهيت إفادتك .

عادت ، منى ، إلى مكانها ، المرجو لها ، القفص بجانب كل من ماجدة و نوسة حيث تعانقن و هن ينتحبن في صمت .

ضرب القاضي بمطرقته من جديد و طلب من الشاهد الأول التقدم للإدلاء بشهادته ، تقدم الحارس المناوب في تلك الليلة من منصة الشهود ، أدى القسم و امتثل ، في حين بدأ القاضي بتوجيه الأسئلة :

- القاضي : ليلة الحادث ما الذي حصل بالتحديد ؟

- الحارس : سيدي القاضي كنت مناوبا في تلك الليلة على الحراسة مع زميلي المغدور ، و كنا نتجاذب أطراف الحديث بخصوص ما حدث يومها ؟

-القاضي : ما الذي حدث يومها ؟

- الحارس : ما حدث هو أن الأمطار ، كانت تهطل بغزارة و قوة فاقت معها قنوات الصرف الصحي على الاستيعاب فباتت عاجزة عن التخلص من تلك المياه ، فحدث ما يشبه الفيضان .

- القاضي : كيف ذلك ، اشرح لي .

- الحارس : تدفقت المياه إلى الداخل و عمت الممرات ، فتسربت إلى غرف التوقيف ، حيث نالت من كل ما طالته و أصبحت مجموعة كبيرة من الموقوفات بلا فرش و لا أغطية .

ليلتها ، أخبرته ، بأنه علينا إعلام الإدارة بذلك ، لتوفير فرش و أغطية جديدة ، فطلب مني اخذ ذلك على عاتقي ، و فعلا بدأت بكتابة طلب في الغرض و كنت من حين إلى آخر اسأله عن كيفية صياغة الطلب ، فكان يجيب .

اطرق الحارس قليلا ثم واصل :

-: على مضض ، إلى أن بدأنا بسماع أصوات بدأت تعلو شيئا فشيئا ، في البداية لم نعر اهتماما ، إلى أن تحول الأمر إلى شجار ، أظنه غالبا ، كان شجارا مفتعلا ، كان الهدف منه قتل المغدور و الهرب .

- القاضي : ما الذي جعلك تظن انه مفتعل أو مقصود ؟

- الحارس : الموقوفات كن يكرهن المغدور كثيرا .

- القاضي : و لماذا حسب رأيك ؟

- الحارس : و بعد صمت قصير ، كُنّ غالبا يشتكين من ازدراءه لهن وحتى تعنيفهن أحيانا و قد دار حديث حوله أثناء تجفيف المياه بين الموقوفات .

- القاضي : أهذا ما يجعلك تظن انه مقصود و أنّ قتله ، كان مخططا له .

- الحارس : اجل سيدي القاضي .

- القاضي : هل كان المجني عليه يقوم بالتحرّش ببعضهن ؟

- الحارس : و قد طأطأ رأسه ، لا اعلم سيدي .

- القاضي : حسنا ، هل تستبعد ذلك ؟

- الحارس : لا اعلم سيدي .

- القاضي : حسنا واصل .

- الحارس : حين احتدّ الشجار ، سيدي ، خرج زميلي لتفقد الغرفة التي كان الشجار يدور فيها و دخل لوضع حد ، ثم لا ادري ما الذي حدث بعدها ، لكنني سمعت صراخا و صخبا كثيرا ، حين هممت باللحاق به ، انقطع التيار الكهربائي ، نزلت إلى القبو لتفقد لوح تشغيل الكهرباء الرئيسي ، فلاحظت انقطاع احد الأسلاك ، قمت بإصلاحه و إعادة إيصاله ، إذ أن لدي بعض الخبرة و المعرفة بالكهرباء ، حين صعدت كان الصراخ ، قد أصبح أكثر حدة و انتشر في كل الغرف ، حين دخلت غرفة توقيف الجانيات الثلاث ، كان زميلي ملقى على الأرض و قد كسته الدماء التي كن يغرقن فيها ثلاثتهن .

-: تفقدت نبضه ، لكن ، للأسف كان قد فارق الحياة .

- القاضي : كم دام زمن انقطاع التيار الكهربائي .

- الحارس : نصف ساعة أو يزيد .

- القاضي : لو كنّ يردن الهرب ، هل كان بإمكانهن فعل ذلك؟

- الحارس : محرجا ،على ما أظن سيدي .

- القاضي : قلت أن احد الأسلاك كان مقطوعا ؟

- الحارس : اجل سيدي .

- القاضي : هل يمكن لذلك أن يكون بفعل ، فاعل .

غرق الحارس في الصمت في حين واصل القاضي :

- القاضي : من يعرف مكان اللوح غيرك .

- الحارس : كل الحراس .

- القاضي : حسنا ، يمكنك المغادرة .

هنا أعلن القاضي ، عن انتهاء الجلسة المقررة لذلك اليوم و تعيين جلسة أخرى بتاريخ و بساعة ، ثم ضرب بمطرقته طالبا إخلاء القاعة ، لينصرف الجميع .

المشهد الثالث

دخل جمع غفير قاعة المحكمة التي عجّت و ضجّت بهم ، اخذ الجميع أماكنهم علما و أن عدد الحضور قد ارتفع هذه المرة ، دخل القاضي و اتخذ مكانه مترئسا الجلسة التي أعلن عن افتتاحها ثم بدأ بمناداة الشهود والذي كان من بينهن مجموعة من الموقوفات و موظفتان ، أدلين كلهن بشهاداتهن ، شهادات ، تراوحت بين ، التحرش الجنسي ، الاعتداء بالعنف و حتى الاغتصاب ، الذي نال موقوفتين من طرف المجني عليه ، سرى اللغط في أرجاء القاعة ، فأمر القاضي الجميع بالامتثال لآداب الجلسة و هدد بجعلها مغلقة ، ما دفع بالجميع للاذعان و الانصياع لأوامره ، هكذا إلى أن قام باستدعاء الشاهد الأخير في تلك القضية و الذي كان الحارس الكهل :

- القاضي : تقدم من منصة الشهود و أدي قسمك .

- الحارس الكهل : و قد رفع يمناه ، اقسم بالله العلي العظيم أن أقول الحقيقة كاملة و لا شيء غير الحقيقة .

- القاضي : حسنا ما الذي تعرفه ؟ من ملابسات هذه القضية و لم يتم الإلمام به أثناء البحث؟

- الحارس الكهل : سيدي القاضي ، لقد مكّنت هيأة العدالة من وثيقة كتبت عليها بعض الأرقام و الأسماء لموقوفات و موظفات كان المجني عليه قد تعرض إليهن ، زيادة على الشهادة التي سأدلي بها .

- القاضي : أريد أن اعرف أولا من أين حصلت على تلك المعلومات ؟

- الحارس الكهل : المجني عليه كان يحتفظ بها و هو الذي دون كل ذلك ، بمبرد كان يدأب على تقليم أظافره به ، حفرها على طاولة مكتبه ، في البداية لم اعر للأمر بالا إلى أن اتفق أن اكتشفت ، أن احد تلك الأرقام ، هو رقم إحدى الموقوفات و التي كانت قد أدلت بشهادتها منذ قليل .

- القاضي : لماذا حجبت كل هاته المعلومات و لم تقدمها أثناء فترة التحقيق و البحث .

- الحارس الكهل : لم افعل يا سيدي ، خوفا من أن يتعاطف بعض الزملاء معه و الحال انه مات مقتولا ، فيخفيها .

- القاضي : هل تتهم هيئة البحث بعدم النزاهة .

- الحارس الكهل : لا ، أبدا سيدي ، لكننا بشر و البشر يضعفون ، ثم إن لدي ثقة في القضاء.

صمت القاضي برهة ، و هو يتصفحه ، ثم طلب منه أن يواصل .

- القاضي : حسنا ، واصل ، كيف اكتشفت أن هاته الأرقام ، يمكن أن تكون لنساء قد اعتدى عليهن ؟

- الحارس الكهل : اعمل معه منذ سبعة سنوات و اعرف كيف يفكر ، ثم إن الأمر لم يكن معقدا ، سألت الموقوفة المعنيّة بالأمر فسردت لي ذلك ، و أيّدت ذلك بنقل حديث دار على لسان موقوفات ، أخريات يوم الحادث.

- القاضي : متى أخبرتك بذلك ؟

- الحارس الكهل : عشية الحادث و أخبرتني بما تناقلته بقية الموقوفات عن قصة غريبة كانت قد حدثت قبل أشهر.

- القاضي : و ما مفاد هاته القصة ؟

- الحارس الكهل : أن إحدى السجينات ، قد هربت و هي في الحقيقة ليست قصة ، إنها حقيقة ، فقد قامت فعلا إحدى الموقوفات بالهرب و منذ أشهر و قد أجري بحث في الغرض.

- القاضي : و إلى ماذا أفضى البحث ؟

- الحارس الكهل : إلى لا شيء ، لم يبن لها اثر ، و أغلق التحقيق .

- القاضي : من الحارس الذي كان مناوبا يوم هربها ؟

- الحارس الكهل : الحارس االمغدور كان يومها بمفرده ، لكن هذا يا سيدي ليس كل شيء .

- القاضي : حسنا واصل .

- الحارس الكهل : في يوم الحادث ، اليوم الذي غمرت فيه المياه مركز الإيقاف ، وجدت إحدى الموقوفات ، حذاءها ، و الذي أكدت أيضا أنها لم تكن تملك غيره .

- القاضي : حذاء من ؟

- الحارس الكهل : حذاء الهاربة .

- القاضي : ما الذي تشير إليه ؟

- الحارس الكهل : اشهد بما اعلم ، و هذا ليس كل شيء .

- القاضي : حسنا أكمل .

- الحارس الكهل : كنت قد آليت على نفسي ، سيدي ، و منذ بدأت هذا العمل أي قبل ثلاثين عاما ، أن لا أكون مسمارا يدق في نعش ميت .

- القاضي : ما الذي تقصده ؟ أفصح ؟

- الحارس الكهل : المحروم من حريته ، ضعيف ، و المحكوم ضعيف و التوقيف قد يدوم أحيانا سنوات ، إن كنت لا تعلم يا سيدي .

التوقيف ، أشبه بالمطهر ، أنت لا تطال ، أن تعود إلى حريتك و لا تعلم ما ينتظرك .

فليس اقل من أن ينال الموقوفون ، احتراما لإنسانيتهم و رعاية لحُرُماتهم و هذا ما دأبت على فعله و مثلي كثر .

- القاضي : أكمل و أوجز .

- الحارس الكهل : حسنا ، سيدي ، عدت في تلك الليلة ، لمواجهة الحارس الشاب بكل جرائمه و بشكوكي ، حين وصلت ، و عند سماع صوت الصراخ المتعالي من غرفة الموقوفات الثلاث هرعت على عجل ' للتدخل .

كان التيار الكهربائي ، قد انقطع ، فتلحّفت بالظلام لأقتله بنفس السكين التي كان يرهب بها ضحاياه ، الموسى ذات المبرد.

- القاضي : أنت الذي قتلته إذا ؟

- الحارس الكهل : اجل أنا الذي قتلته ، قتلته ، لأنه استحق كل القتل ، قتلته ،لأنه قاتل ، قتلته بسم ما جرّعه لضحاياه و منحتهن ، بذلك ، جرعة حياة ، بتذوّق طعم دماءه .

ثم سحب الحارس الكهل ، منديلا ، ملوثا بالدماء ، تقدم من القاضي و وضعه على المنصة ، ثم أكمل .

-: بهذا طهّرتهنّ .

من منصة المتهمات ، وقفت منى عند رؤية المنديل ، ظلت تنظر و الدهشة تقلب وجهها ألوانا ، ثم صرخت :

- منى : لا ، لا، هو لم يقتله ، هذا ليس صحيحا ، أنا التي قتلته .

و سرعان ما وقفت كلّ من ماجدة ، و نوسة و هما تصرخان ، بالتناوب :

- لا أنا التي قتلته .

- أنا التي قتلته .

علا الضجيج و عمّ الصّخب أرجاء القاعة و ارتفع صوت من منصة الشهود لإحدى الموقوفات ، أنا التي قتلته ، سرت العدوى في القاعة ، و بات كل من فيها يصرخ ، أنا الذي قتلته ، أنا الذي قتلته ،هنا سرعان ما سحب القاضي مطرقته من جديد ، ضرب بها و أمر الحارس الكهل بالعودة إلى مكانه ثم نظر إلى هيئة المحلفين ، و طلب منهم النطق بالحكم.

عمّ الصمت من جديد ، و وقف رئيس هيئة المحلفين ليعلن أنهم في حاجة إلى مهلة للتشاور، بهذا أُجّل النطق بالحكم إلى ما بعد الظهر ، حيث انعقدت الجلسة ، من جديد .

أمر القاضي رئيس هيئة المحلفين بالإدلاء بالحكم الذي توصلوا إليه .

- رئيس هيئة المحلّفين : المتّهمات ، بريئات من التهم الموجهة إليهن في حق الحارس الشاب الذي قتلته أفعاله .

أكمل الرئيس ثم عاد للجلوس من جديد ، بينما انطلق القاضي في استشارة ، مساعديه بصوت خافت ثم ضرب بمطرقته و أعلن :

- القاضي : بخصوص القضية عدد ٢٥١١

في حق المجني عليه الحارس الشاب و حيث وجهت التهم إلى الموقوفات ، كل من ، ماجدة ...نسرين...و منى ....

قررت هيئة المحكمة ، أن المتهمات ، بريئات و انه قتل غير عمد و على وجه الحفاظ على الحرمات .

كما ترى هيئة المحكمة أن الحارس الكهل ، يجب أن يعفى من مهامه و من وظيفته و يحال إلى الطب النفسي .

كما قررت الهيئة الحكم بعدم سماع الدعوى ، في القضايا القديمة الموجهة للمتهمات الثلاث كما قررت الهيئة أيضا ، تعيين محام للمدعوة ، منى ، للبت في حل وضعيتها و التي لا تعتبر مخالفة للقانون باعتبارها ضحية حرب .

ثم ضرب القاضي بمطرقته من جديد و استقام لمغادرة القاعة ، التي بدأ الجميع بمغادرتها إلى أن أصبحت شبه فارغة .

قام المحامي من مكانه ، و اتجه نحو المتهمات الثلاث .

اقترب لتهنئتهن ، ثم و بصوت خافت ، همس :

- المحامي : من التي قتلته ؟

- لتجيب ثلاثتهن و بصوت واحد :

-: أنا التي قتلته .

-: أنا التي قتلته .

-: أنا التي قتلته .

بدأ الصّمت يعم القاعة تدريجيا و غادر الجميع إلا من أصواتهن تغنين :

الأغنية :

ما اشتد ظلم و ارتفع

إلا كما استبد وقع

قصة موته عبرة

سقت الحياة في جرع

****

انتهت على بركة الله في ١٦ فيفري ٢٠١٨

نبذة عن المؤلّفة

سحر النصراوي، فنانة تونسية من مواليد ١٩٨٢ .

موسيقية و أديبة ، روائية ، كاتبة مسرحيّة و شاعرة متحصله على إجازة في علم النفس و دبلوم موسيقى عربية اختصاص غناء .

متكونة في فنون الأداء الركحي و الغناء البولي فوني شاركت في عدّة دورات تكوينية في العلاج بالموسيقى بفرنسا جامعةPaul Valéry

احترفت الغناء منذ أواخر التسعينات إلى أن كونت مجموعتها الموسيقية الخاصة " نينوى " سنة ٢٠٠٩ .

لديها العديد من الانتجات و المشاركات الموسيقية على صعيد وطني و عربي و العديد من المشاركات المسرحية كممثلة ، مساعدة مخرج و كاتبة مسرحية .

أخرج لها نص مسرحي تحت عنوان " جرعة حياة " ، المخرجة التونسية أحلام البجاوي .٢٠١٧

أعمال سابقة:

- صدرت لها رواية تحت عنوان " سمسارا " بلبنان سنة ٢٠١٨ .